مقدمة

بقلم الكاتب الكبير

الأستاذ عباس محمود العقاد

تفضل الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ـ وهو صاحب فضل كبير فى رعاية اللجنة والأخذ بيد العاملين فيها، لتحقيق رسالتها العلمية التى تحمل لواءها لنشر الثقافة العامة ـ فكتب حفظه الله بقلمه تقدمة لهذه «الموسوعة التيموريةش بما عرف هو عن صاحبها ومؤلفها من سعة العلم وبالغ الأثر فى حب غرس البحث والتنقيب فى نفوس الأدباء الناشئين والكتاب الباحثين، والأستاذ العقاد خير من يقدم لمثل هذه المؤلفات الضخمة، تقديراً منه وتشجيعًا للعلم والأدب، وهو الكاتب الكبير الذى له أثر خالد فى كل ناحية من النواحى العلمية والأدبية، وفى كل دعامة من الدعائم التى وضعت ليرسى عليها بناء الأمة العربية وإعداد أبنائها للمستقبل الزاهر الباسم الذى بدت طلائعه تبشر بالاستقرار والفوز ببلوغ الآمال.

ولا يسع اللجنة إلا أن تزجى لسيادته شكرها المقرون بالتقدير والاحترام، والاعتراف له بالفضل فى تخليد ذكرى المجاهدين وتمجيد أعمالهم، والإشادة بأعمال المكافحين فى سبيل خدمة هذا البلد الخدمة العلمية الحقة.

وهذه هى الكلمة التى تفضل بها كاتب العربية الكبير:

هذه مجموعة من نوادر اللغة، لو ظفر علماء الحضارات بأعيانها وموادها لاجتمع لهم منها متحف عامر بأصول البحث عن الحضارات العربية من إقدامها إلى أحداثها، وذخيرة حافلة بوجوه المقابلة بين كل حضارة منها وسائر أخواتها، فى أطوارها المتتابعة.

لأن علماء «تاريخ الحضارة» ـ كما لا يخفى ـ يعتمدون فى دراستهم على مخالفات الأمم من الآنية والأوعية، ومن الأمتعة والأدوات، ومن كل مادة تدل على الأكسية والحلى وعلى الأطعمة والأشربه، ليتعرفوا بها أحوالها وعاداتها فى معيشتها اليومية، ويقيسوا بها درجاتها من التقدم والتخلف، او من الأصالة والتقليد، ومبلغ اتصال هذا كله بالقدرة على تجويد الصناعة وتنويع لوازم المعيشة، وحسن الفطنة للذوق السليم والمهارة الفنية.

وهذه صفحات تحتوى فى الواقع «متحفا» واسعا من مادة «تاريخ الحضارة» لأنها تحتوى صفوة التحف اللغوية التى عثر بها العالم المحقق «أحمد تيمور باشا» أثناء مطالعاته ومراجعاته. وهى ـ كما يعلم القراء ـ بحر غزير لا يتوفر فيضه للكثرين من قراء اللغة العربية، لأنهم قد يملكون الكتب فلا يملكون الوقت، وقد يملكون الكتب والوقت فلا يملكون سعة الرزق وطمأنينة النفس إلى الأناة وطول الصبر على التحقيق، ولا غنى عن الأناة والصبر فى البحوث.

وقد أربت هذه الصفحات على المائتين وامتلأت كلها بالشوارد النادرة عن «خلق الإنسان وصفاته والأطعمة والاشربة والفاكهة والنقل والحلى والزينة والطيب والألوان والأصباغ وآلات الطرب وأصوات الغناء». فهى ـ بحق ـ متحف واف للحضارة العربية يغنى المؤرخين لها عن مئات المراجع آلتى تيسرت للعلامة الكبير، وقد يلجئهم إلى تلك المراجع لإعادة النظر والاستقصاء، فيغنيهم جهد العلامة المؤلف فى البحث والتدوين عن جهد جديد لإحصاء المراجع بعد المرجع والأهتداء إلى الشاهد بعد الشاهد بين فصول وصفحاته.

وأقرب ما نمثل به لفائدة هذا المتحف النفيس تلك الصفحات آلتى اشتملت على آلات الطرب وأصوات الغناء ومصطلحات علم الموسيقى والإيقاع. فان خبراء الغناء عندنا وخبراء التاريخ معا يجهلون كل شى عن هذا الفن العربى غير أسمائه وأسماء آلاته، ويحاولون أن يعيدوا «أغنية» واحدة مذكورة بتلك الأسماء فلا يخرجون من

محاولاتهم بغير الظن والتخمين، وسبب ذلك أن الخبير الغنائى لا يعرف مراجع التاريخ، وان الخبير التاريخى لا يعرف قواعد الغناء القديم، ولعله لا يعرف قواعد الغناء الحديث. . . فإذا تسنى لباحث موسيقى تاريخى أن يقف على كل ما وصفت به الأغانى ووصفت به آلاتها ومناسباتها، فمن الميسور أن يهتدى الموسيقيون والمؤرخون معا إلى اسر تلك المصطلحات، وأن يعيدوا لنا «السماع» العربى كله مسموعا مسجلا بألحانه وأوزانه وأصواته ونغماته، غير قانعين كما نقنع اليوم بإعادة أخبار السماع على السماع؟

ويستفاد غير هذا العلم من غير هذا الباب، لآن العلامة الكبير قد وفى المعرفة حقها بطول البحث والنظر وطول المراجعة والمتابعة، ووفى الأمانة حقها بإثبات ما رآه كما رآه. ونرجح نحن أن الموسوعة لم تأت بتصحيف من عندها غير التصحيف الذى نقلت عنه، ففيها عن «أنس الوحيد» بيت في الإيقاع ليس بيت وهو :

إن رقـــــــصى عـلى مـقـدار إيقـاع الزمـان

وصحته كما نذكر :

ولا تعـتب عـلى فـإن رقـصى على مـقـدار إيقـاع الزمـان

ولكن «أنس الوحيد» على ما نرجح هو المسئول عن هذا الاختزال، ومثله كل منقول حفظته أمانة النقل بما عرض له من تصحيف.

* * *

قيل لابن حزم : انك لا فضل لك فى علمك لأنك حصلته وأنت تطالع الكتب على مصابيح الذهب : فقال ما معناه : بل الفضل لى فى ذلك فضل لاينازعة من طالع الكتب على غير تلك المصابيح، لأنه إنما طلب العلم ليصبر إلى مثل ما أنا فيه، ولكنى طلبته مستغنيا به كل طلبة، لأننى لم أبلغ به نغمة كنت أفقدها قبل الوصول إليه.

ويحق لنا نضع هذا الكلمة على لسان علامتنا السرى بعلمه وماله رحمه الله، فأنها

حق له لم يكن يذكره لنفسه ، فلنذكر له فى هذا المقام أنه صحب الدنيا وفارقها وهو يحسن بعلمه كما يحسن بماله، أحسن الله إلية وأجذل له مثوبة الخير والذكر الجميل،

عباس محمود العقاد